التَدبُّرُ فيما نزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلاً

«جمع ودراسة»

إعداد

د / أحمد حامد أحمد الشرقاوي ، د / محمد أحمد مغربي

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون،

جامعة الجوف، سكاكا الجوف، المملكة العربية السعودية

التَّدَبُّرُ فيما نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلاً _جمع ودراسة_

أحمد حامد أحمد الشرقاوي .. محمد أحمد مغربي

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الجوف، سكاكا الجوف، المملكة العربية السعودية.

الملخص :

يَتطلَّعُ هذا البحث إلى بَيَانِ موضوعِ "التَّدبُّرِ فيما نزل من القرْءانِ ليلاً"، وهو ما يُعرفُ في علوم القرآن باللَّيلِيِّ، فصدَّرنا الدِّراسةَ بتحليلِ ألفاظِ العُنوانِ ممثَّلَةً في التدبر، ونزول القرآن، و"اللَّيل" ، مع التنسيق بين مدلولاتها الاصطلاحية. ثمّ جمعنا الآيات النَّازلةِ ليلاً، واجتهدنا في توجيهِ مقتضى الحال لنزول هذه الآيات من حيثُ وقتُ النُّزولِ، وحالِ المنزَّلِ عليهم. وأتبعناهُ ببَيَانِ الحكمة الرَّابطة زمن النُّزول بحال المنزَّل عليهم، وما الأثر الذي ترتب على ذلك. وجاء العرضُ وفق المنهج العلمي على ما أتاحت به النصوص الشرعية من القرآن، والسنة، والآثار، وأقوال العلماء في بيان تلكم الحقائق. وخلُص البحثُ إلى حصرِ عدد ما نزل ليلاً جملةً ومفرَّقاً، والاستفادة منه في المقاصد القرآنية، وانتهى إلى اقتراح توصياتٍ بتجديد البحث في قضايا من علوم القرآن .

الكلمات المفتاحية : تأملات – نزول القرآن – الليلي – مقتضى الحال – التدبر.

Meditation of Qura'nic revelation at night
Reflection on what came down from the Qura n at night
-Collection and study-

Ahmed Hamed Ahmed El-Sharkawy
Mohamed Ahmed Megherbi
Assistant Professor of Tafseer Islamic Studies Department Faculty of sharia and law Jouf University, Saudi Arabia.
E-MAIL: ahalsharkwy@ ju.edu.sa
E-MAIL: mamegherbi@ju.edu.sa

Abstract:

This research looks to the statement of the topic of "Meditation of nightly Qura'nic Revelation ", which is known in the science of the Qur'an as nightly revelation. We issued the study with an analysis of the title words represented in reflection, the descent of the Qur'an, and "the night", with coordination between their idiomatic connotations. Then we collected the verses coming down at night, and we worked hard to direct these verses in terms of the time of the descent, and the state of the revealed upon them. We followed it with a statement of the wisdom that links the time of the descent to the condition of the one being revealed to them, and what effect did that have on it. The presentation was according to the scientific method, according to what the legal texts provided by the Qur'an, the Sunnah, the traditions and the sayings of the scholars in explaining these facts. The research concluded with the number of verses that were revealed at night, and to used in Quranic purposes, and ended up with the suggestion of recommendations to renew the research in issues of the sciences of the Qur'an.

Keywords: Consideration- The descent of the Quran- The night- Situation case- Meditation .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – .

وبعد

فإنّ العلماء في القديم والحديث قد اهتموا بالموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، وأفردوا لها المؤلفات المستقلة، كمِثلِ المكيِّ والمدنيِّ، ونزول القرآن، وأسباب النزول، وقد فرّع العلماء عنها مسألة:" ما نزل من القرآن ليلاً"، المصطَلَحِ عليها باللَّيليِّ، والغالب أن يكون النزول نهاراً[1] ، فجاء هذا البحث لينظر في خصوص هذه المسألة، ويُجلِّيَ بعض الحِكَمِ والمقَاصِدِ في ما يتعلق بالنزول اللَّيليِّ ببيان حال النزول وتدبر مواقعه و أثره في النفوس.

محددات البحث

أ – إشكالية البحث: اضطراب بعض الأقوال فيما نزل ليلاً مع إدراج ما توسَّط بين الليلي والنهاريِّ، ممَّا جمعته مؤلَّفاتُ علوم القرآن من غير إفراد دراسة محكمةٍ جامعةٍ لها وما لزمها من بيان آثارها العلمية ومقاصدها القرآنية، دفع بالباحثَيْنِ إلى تجديد النَّظر فيما نقله علماء علوم القرآن والمفسِّرين في الموضوعِ نفسِهِ ، محاولين الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما الآيات التي نزلت ليلاً ؟وما أثرها في الاهتداءِ بالقرآن؟
- ما مقتضى الحال لعموم نزول الآياتِ ليلاً ؟

---

(1) قال ابن حبيب نزل أكثر القرآن نهارا...الخ . ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٨١) .

- كيف نستفيد مقاصدياً فيما نزل ليلاً من الآيات؟

ب – أهداف الدراسة :

١ – إفرادُ ما نزل ليلاً بالجمع والاستقراء في دراسة قرآنية مقاصدية.

٢–إظهار ارتباط القرآن الكريم بواقع المسلمين.

٣– بيان توجيه ما كان حكمه الحديثيُّ الظاهِرُ ضعيفاً سنداً في النزول الليليِّ، وهو غير مدفوعٍ لِأَنْ ينجبر ويصحَّ.

ج – أسباب الدراسة:

١– عدم وجود دراسات مستقلة لهذه المسألة رغم أهميتها.

٢– اختلاط الروايات الصحيحة والضعيفة فيما نزل ليلاً.

٣– محاولة استجلاء المقاصد القرآنية للنزول اللَّيليِّ للقرآن الكريم .

د – منهج البحث :اتبع الباحثان المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي.

فأمَّا المنهج الاستقرائي، فبتتبُّع الآيات النازلة ليلاً ومروياتها وجمعها وترتيبها. وأمَّا المنهج التحليلي ، فبوصف وتحليل الروايات التي نصَّت بنزول آياتها ليلاً و إردافها بشرح الآيات من حيث بيان علاقتها بمقتضى حال النزول .

وأما المنهج الاستنباطي فلبيان طريقة استخراج المعاني المقاصدية لنزول بعض السُّور أو آياتها ليلاً، والكشف عن الأثر التَّربويِّ والسلوكيِّ وقِيَمِهِ العلمية ونكته المعرفية.

هـ – اجراءات البحث : تتبعا الباحثان الروايات فيما نزل من الآيات ليلاً وجمعاها، وقاما بدراسة متأنية لها، وقد راعيا ما يلي:

١ – التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة من الكتب المتخصصة.

٢ – التدقيق والتحرير في مسائل هذا الموضوع بعد جمع الأقوال والآراء فيه، والعمل على حسن تنسيقها، واتمام ما نقص وإيضاح ما غمض منها لتخرج– بفضل الله– النتيجة طيبة.

٣– عزو الأقوال إلى قائليها والرجوع إلى مصادرها من أجل الإستفادة منها.

٤– تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية ، مع ذكر الحكم عليها. والاكتفاءُ بالصحيحين إذا كان سياقهما غير مختصر، فأما إن اتفقا على الحديث اكتفينا بالبخاريِّ غالباً .

٥– الاقتصار في التخريج على الكتب التسعة أو أفرادها–إبعادً لثقل الهوامش– مع الاعتضاد بأحكام المحدّثين على الحديث خارج الصحيحين، فإن ورد الحديث خارج الكتب التسعة عزوناه إلى مصدر واحد وأتبعناه بحكم النقاد، إلاَّ ما اضطررنا إلى تتنوُّع المصادر حالة تحقيق درجة الحديث وتتبع الطرق كمثل حديث نزول سورة " سورة "المنافقون" أو سورة " الأنعام".

٥– كتابة الآيات بالرسم العثماني مع بيان اسم السورة ورقم الآية في المتن.

و – الدراسات السابقة:

– لم نقف فيما بحثنا واستفرغنا وسعه لتحصيل بحوث محكَّمةٍ والاستفادة منها، إلاَّ ما كتب العلماء عن نزول القرآن، مثل: البرهان في علوم القرآن/أبو عبد الله الزركشي، الإتقان في علوم القرآن/عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي...، لكن كتابتهم كانت عبارة عن جمع الروايات التي نزلت ليلاً فقط، غير أننا حاولنا إفراد الموضوع بالدراسة ، وافترقنا عنهم بالوقوف على مقتضى الحال لأغلب الآيات، والنظر في أثرها على الواقع العملي لحياة المسلم للاهتداء بها.

– وقعنا على بحث للدكتور طه عبد الرحمن طه _بعد الانتهاء من دراستنا كاملةً_ بعنوان "وقت نزول القرآن وعلاقته بفهم المعنى والعمل به" دراسة تطبيقية على بعض ما

نزل ليلاً" ، وقد وُفِّق الباحث لدراسة الموضوع وتشخيص حالات الاستفادة منه ببيان أثره في ربطه بالمعنى.

وأما بحثنا فيتَّفق مع توجُّه الباحث الدكتور طه في جمع مواضع النزول الليليِّ لآيات القرآن، ويختلف عنه في الدراسة المقاصدية إذ عزمنا على بيان علاقة تدبر ما نزل ليلاً بواقع المسلمين مستخرجين دُرراً وفوائد مقاصدية وتربوية، وأما الباحث فلجأ إلى توجيه ما نزل ليلاً بأثره التفسيريِّ _أي علاقته بالمعنى_فهو أشبه بالتفسير الموضوعيِّ، وأما نحن فدراستنا أشبه بالتأصيل للمقاصد القرآنية التي حاكت نزول القرآن. والله الموفق.

ز – خطَّةُ البحث:

وتتكون هذه الدراسة من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. وكل مبحث تحته عدة مطالب.

١ – أما المقدمة :وهي التي نحن بصددها.

٢ – التمهيد: تحرير مفردات البحث:" التدبر، نزل. الليل ".

٣ – المبحث الأول:جمع الآيات التي نزلت ليلاً.

٤ – المبحث الثاني: مقتضى الحال لما نزل ليلاً

٥ – المبحث الثالث: الأثر المقاصدي في نزول القرآن اللَّيليِّ.

٦ – الخاتمة :وشملت أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

تحرير مفردات البحث: «التدبر، نزل، ليلاً»

التَّدَبُّر في اللغة هو:" التَّفكُّر، أَي تَحْصِيل المَعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثالثة، ويقال عَرَف الأَمرَ تَدَبُّراً، أَي بأَخَرَةٍ . والتَّدْبيرُ هو : النَّظَرُ في عاقِبَةِ الأَمْر، أَي إِلى ما يَؤُول إِليه عاقِبَتُه" [(١)]. "واسْتَدْبَرَه : رَأَى في عاقِبتِه ما لَمْ يَرَ في صَدْرِه. وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً : أي بأُخَرَةٍ" [(٢)]. "وهو مُشْتَقٌّ مِنَ الدُّبُر، أَي الظَّهْر، اشْتَقُّوا مِنَ الدُّبُر فِعْلًا، فَقَالُوا: تَدَبَّرَ إِذَا نَظَرَ فِي دُبُرِ الْأَمْرِ، أَيْ فِي غَائِبِهِ أَوْ فِي عَاقِبَتِهِ..، وَمَعْنَى يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ: يَتَأَمَّلُونَ دَلَالَتَهُ، وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالَةَ تَفَاصِيلِ آيَاتِهِ عَلَى مَقَاصِدِهِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ، أَيْ تَدَبُّرُ تَفَاصِيلِهِ. وَثَانِيهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالَةَ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ بِبَلَاغَتِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ صَادِقٌ" [(٣)].

والتَّدَبُّرُ فِي قِرَاءَة القرآن:" إِعَادَةُ النَّظَرِ فِي الْآيَةِ وَالتَّفَهُّمُ أَنْ يَسْتَوْضِحَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ مَا يَلِيقُ بِهَا كَيْ تَتَكَشَّفَ لَهُ مِنَ الْأَسْرَارِ مَعَانٍ مَكْنُونَةٌ لَا تَتَكَشَّفُ إِلَّا لِلْمُوَفَّقِينَ" [(٤)]. وذُكر

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس/ الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى، تحقيق /مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، (١١/ ٢٦٥). وينظر: مختار الصحاح/ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، تحقيق/محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت١٤١٥ه، ـــ(١ / ٢١٨).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ٤٥٨هـــ، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية– بيروت ٢٠٠٠ه، ـــ(٣١٤/٩).

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـــ)، ، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـــ، (١٣٧/٥).

(٤) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، محمد الطاهر (٢٩/١). وينظر : إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٢٨٢/١) .

أنه "عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر[١] "، وهذا باستصحاب أصله اللغويِّ بالاعتبار في المآلات، وقيل:" تَدَبُّر الْكَلَامِ هُوَ النَّظَرُ وَالتَّفَكُّرُ فِي غَايَاتِهِ وَمَقَاصِدِهِ الَّتِي يَرْمِي إِلَيْهَا، وَعَاقِبَةِ الْعَامِلِ بِهِ وَالْمُخَالِفِ لَهُ" [٢]

وجامِعُهُ " النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعِبَر والمقاصد، الذي يثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية[٣] "."ولا يمكن أن يكون التدبر إلا مقرونًا بفقه المعاني والأهداف والحكمة"[٤]..

والفرق بين التدبر والتفكر:" أن التفكر تصرف بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب" [٥].

فلابدّ لكل مسلم أنْ يقرأ القرآن ويحسن تلاوته، ثم يتفكر في كل آية يقرأها ليفتح الله عليه كلٌ بنصيبه، وهذا يتطلب منه إعادة الآية مرات ليستدعي منها الهداية والعبرة، حتى يتخلق بأخلاقها، ويعمل بمضمونها، وهذا يزيده إيماناً على إيمان، وطمأنينة وسكينة، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢].

نزل: النُّزُول بالضَّمّ :" الحُلول وهو في الأصلِ انحِطاطٌ من عُلو"[٦].

---

(١) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ص: ٥٤) .

(٢) تفسير المنار: (٥/ ٢٣٣).

(٣) الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، السبت، خالد عثمان (ص: ١٣)

(٤) أسرار ترتيب القرآن/ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، صـــ ١٨.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف/ المناوي، محمد عبد الرؤوف. دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق،الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ، تحقيق/ د. محمد رضوان الداية، :صـــ ١٦٧.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس/ الحسيني الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية. مادة نزل، (٤٧٨/٣٠).

"وقد نَزَلَهم، وعَلَيهم، وبِهِم، يَنْزِلُ نُزُولاً، ومَنْزِلاً. ونَزَلَ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ: انْحَدَرَ"(١). والتنْزيل:" ترتيب الشَّيء ووضعُه في منْزِلَه"(٢).

فالنزول في اللغة: له ثلاثة معانٍ :

أ – بمعنى الحلول والإقامة في المكان .

ب – بمعنى النزول من أعلى إلى أسفل .

ج – بمعنى الترتيب ووضع الشيء في موضعه .

فالمعنى الأول لا يتحقق إلا أن يتضمن المعنى الثاني، وكلاهما موافق لكلام الله وكذا المعنى الثالث .

النزول في الاصطلاح: انقسم العلماء إلى فريقين:

الفريق الأول:" قالوا إن المعنى الحقيقي لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن، ولا في نزول القرآن من الله، لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية. وقدروه بمعنى الإعلام، وجعلوا العلاقة بين الحقيقة والمجاز هي اللزوم لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء" (٣). بل بعضهم قدره بمعنى:" الإثبات، كما في قوله

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم/ بن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل ٤٥٨هـ تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م. (٩/ ٤٥)، مادة" نزل". كتاب العين/ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، دار ومكتبة الهلال، تحقيق / د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، (٣٦٧/٧)، مادة نزل.

(٢) مقاييس الغة/ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَرِيّا، تحقيق/ عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م، (٥/ ٣٣٤). مختار الصحاح/ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،١٤١٥هـ ، تحقيق/ محمود خاطر، (٦٨٨/١).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن/ الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثالثة، (٤٠/١).

تعالى: "وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، قال ابن عطية " أنزلناه، إما أن يكونَ بمعنى أثبتناهُ، كما تقول: أنزل السُّلطان فلاناً بمكان كذا: إذا أثبته، وإما أن يتعلق النُّزولُ بالمَلكَ"(١).

وهذان التعريفان وغيرهما لا يصحَّان لمخالفتهما صحيح اللغة وصريح القرآن وكلام السلف :

أمّا اللغة فقد سبق البيان أنه بمعنى الحلول وهو لا يخلو من معنى النزول من أعلى إلى أسفل، وهو ما يوافق نص القرآن وكلام السلف.

وأما آيات القرآن الكريم فكثيرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام:١١٤] . وقال تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء:١٠٥] ، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ [الدخان:٣]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر :١] .

وأمّا كلام السلف فقد روى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال :" نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فُرِّق في السنين، وتلا ابن عباس هذه الآية:" فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ"(الواقعة:٧٥)، قال: نزل متفرّقا". وعنه أيضا قال:" نزل القرآن جملةً واحدة من الزُّبُر إلى البيت المعمور، وهو مواقع النجوم في السماء الدنيا حيث وقع القرآن، ثم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في الأمر والنهي وفي الحروب رَسلا رَسلا"(٢).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ الأندلسي المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن عطية (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ ه، (٨٥/٤)ـ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر ٣١٠هـ، تحقيق/أحمد محمد شاكر، =

٢ – الفريق الثاني قالوا : " إن النزول حقيقيٌ كما أخبرالله تعالى من غير حاجة إلى تأويل أو تقدير أو مجاز، قال ابن جرير الطبري:" فإنه ذكر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، في ليلة القدر من شهر رمضان. ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه"(١). وقال أبو السعود:" ومعنى إنزالِه فيه أنه أبتدى إنزالُه فيه وكان ذلك ليلةَ القدرِ أو أنزل فيه جملةَ إلى السماءِ الدُّنيا ثم نزل مُنَجَّماً إلى الأرض حسبما تقتضيه المشيئةُ الربانية"(٢). " ونزل القرآن– على الحقيقة التى أخبر عنها القرآن وفسرها السلف– جملة ومنجماً – حدثٌ جللٌ يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض، فإنزاله الأول في ليلة القدر أشعر العالم العُلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية، التي أكرمها الله بهذه الرسالة الجديدة، لتكون خير أمة أخرجت للناس، وتنزيله الثاني مفرَّقًا على خلاف المعهود في إنزال الكتب السماوية قبله، آثار الدهشة التي حملت القوم على المماراة فيه، حتى أسفر لهم صبح الحقيقة فيما وراء ذلك من أسرار الحكمة الإلهية "(٣).

قال النووي:" وَمَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا

= مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ، ـــ(٤٤٦/٣). ورجال الأثر ثقات عدول خلا حكيم بنجبير فقد رمي بالتشيع والرفض، غير أنَّ للأثر عن ابن عباس طرقا صحيحة نقلها السيوطي في الإتقان وجزم بصحتها والعمل عند أهل العلم عليها من مفاد قول ابن عباس رضي الله عنه. ينظر الجامع في الجرح والتعديل، مجموعة من الباحثين، عالم الكتب–بيروت–١٩٩٢م. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي(١٧٤/١).فتح الباري، ابن حجر(٤/٩) .

(١) جامع البيان، الطبري (٤٤٥/٣).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٢٠٠/١).

(٣) مباحث في علوم القرآن/ القطان، مناع بن خليل ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، صـ ١٠٠.

مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات وسائر سمات الخلق"[١]. وهو الاختيارُ من وجوب اعتقاد مذهب السَّلف، فإنَّ القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفاته، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:" ليس في القرآن ولا في السنة لفظ "نزول" إلاَّ وفيه معنى النزول المعروف ، وهذا هو اللائق ، فإنه نزل بلغة العرب ، ولاتعرف العرب نزولاً إلاَّ بهذا المعنى ، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها ثُمَّ هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان ، وهذا لايجوز، وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى أنه بينه وجعله هدى للناس[٢] " .

وعلى هذا التقرير، فإنّه لا يحلُّ القول في الغيبيات ببحث كيفيتها، بل يخرج عنها[٣]، بل هو أعظم المفاسد الآتي من السؤال عن المتشابه الكليِّ المتعلِّق بصفات الله تعالى ذي الجلال والإكرام .

ومن أراد أن يستزيد من ردودٍ فليراجع كتب التعليق على مؤلفات علوم القرآن أو التفاسير[٤].

اللَّيْلُ في اللغة :" عقيب النهار ومَبْدَؤُه من غروب الشمس. التهذيب: اللَّيْلُ ضد

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، دار إحياء التراث العربي بيروت، الثانية ١٣٩٢ه، (٣٦/٦) .

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد (٢٥٧/١٢) . وينظر : علوم القرآن عند ابن عبد البر (ص: ٨١)

(٣) المحرر في علوم القرآن، الطيار، مساعد بن سليمان (ص: ٧٤)

(٤) التفسير اللغوي للقرآن الكريم/ الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، دار ابن الجوزي، الأولى ١٤٣٢هـ ، ص ٢٤٥. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره/ الحسن، محمد علي ، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى، ١٤٢١ه، صـ ٦٩. مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم)/ السبت، خالد عثمان. دار ابن عفان للنشر والتوزيع، (١/ ٢٤٥).

النهار، واللَّيْلُ ظلام الليل"[١]. (اللَّيْلَةُ):" من غروب الشمس إلى طلوع الفجر"[٢].تقول: " اعتكفت الليلة البارحة " أو " اعتكفت ليلة "[٣].

وشرعاً:" وهو لا يختلف عن اللغة، حَدُّ اللَّيْلِ: مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ"[٤]. وزاد بعضهم:" هُوَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ الصَّادِقِ أَوْ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ"[٥]. وهذه الزيادة غير معتمدة من الناحية الشرعية، وَ " قَسَمَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ الزَّمَنَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْمًا جَعَلَهُ لَيْلًا مَحْضًا، وَهُوَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَقِسْمًا جَعَلَهُ نَهَارًا مَحْضًا، وَهُوَ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا. وَقِسْمًا جَعَلَهُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، لِبَقَايَا ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَمَبَادِئِ ضَوْءِ النَّهَارِ"[٦]. قال القرطبي:(قُلْتُ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ النَّهَارَ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ" حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" قَالَ لَهُ عَدِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ بِهما الليل من النهار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أن وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ) [٧]. فَهَذَا الْحَدِيثُ يَقْضِي أَنَّ النَّهَارَ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَهُوَ

---

(١) لسان العرب: (١١/ ٦٠٧).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المكتبة العلمية – بيروت، (٥٦١/٢).

(٣) التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية/ محيى الدين عبدالحميد، محمد، ص ١٠٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي، محمد بن أحمد شمس الدين ٦٧١هـ)، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية،١٣٨٤ه ،(١٩٣/٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:(١٩٣/٢).

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، :(١٩٣/٢).

(٧) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير الناصر– دار طوق النجاة– ط١، ١٤٢٢ هـ (٢٨/٣). رقم ١٩١٦.

مُقْتَضَى الْفِقْهِ فِي الْأَيْمَانِ، وَبِهِ تَرْتَبِطُ الْأَحْكَامُ. وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْفَيْصَلُ فِي ذَلِكَ وَالْحَكَمُ. " وَأَمَّا عَلَى ظَاهِرِ اللُّغَةِ وَأَخْذِهِ مِنَ السُّنَّةِ فَهُوَ مِنْ وَقْتِ الْإِسْفَارِ إِذَا اتَّسَعَ وَقْتُ النَّهَارِ) [1]. ويؤكد ذلك قول ربنا عن ليلة القدر:" وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ"(البقرة:١٨٧)، ومما يقطع الشك في ذلك أن الحق سبحانه حدد النهار في الآية من الفجر إلى الليل.

وخلاصةُ عنوان الدراسة هو: الوقوف مع الآيات التي نزلت على النبي– صلى الله عليه وسلم– ليلاً وقفةَ تَدَبُّرٍ وَتأمُّلٍ، وبحثٍ في حكمةِ نزولها وقتئذٍ، وربط ذلك بحال المسلمين –وقت النزول– مع موضوع السورة المطهَّرةِ، لبلوغ المقاصد القرآنية. نسأل الله الفتح بما فيه نفع المسلمين.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، :(١٩٣/٢).

المبحث الأول

جمع الآيات التي نزلت ليلاً

١- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ بِلَالًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَذِّنُهُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ فَوَجَدَهُ يَبْكِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١] ! ثُمَّ قَالَ: وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا ولم يتفكَّرْ فِيهَا! [(١)].

٢ – عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: :﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ "[(٢)] .

---

(١) المسند الصحيح "صحيح ابن حبان" (بترتيب ابن بلبان)، التميمي أبو حاتم، محمد: باب التوبة: ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وقال " إسناد صحيح على شرط مسلم" .مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣. (٢/ ٣٨٦) برقم: ٦٢٠ .وينظر: سلسة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين، وقال صحيح .(١٤٧/١) برقم ٦٨ .

(٢) الجامع الكبير، الترمذي: محمد بن عيسى، وقال:(حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ. هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنْ عَائِشَةَ). (٥/ ١٠١ رقم ٣٠٤٦). والمستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. (٢/ ٣٤٢ رقم ٣٢٢١). والسنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ =

٣ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملكاً يجأرون بالتسبيح [١]".

= وقد عزاه إلى حديث ابن عباسٍ من طريق الزهريِّ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عنه، برقم ٦٢٤٢-٢٥٨/٣ . وينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، وقال "صحيح"(٦٤٤/٥) برقم ٢٤٨٩.

(١) المعجم الكبير، الطبرانيُّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق عبد المجليد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، برقم: ١٢٩٣٠-٢١٥/١٢.فضائل القرآن، ابن سلام، القاسم (ص ٢٤٠) . فضائل القرآن، ابن سلام، القاسم (ص ٢٤٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في المعجم الكبير وفيه علي بن زيد ين جدعان وقد ضُعِّف. ا هـ .

وتضعيفُ عليِّ بن زيدٍ ليس بمتفق عليه، فقد وثَّقه بعضهم وروى عنه بعضهم في مصنفاتهم مقرونا، قال الترمذي صدوق وقال الدارقطني: لا يزال عندي فيه لين. وقال أحمد العجلي: كان يتشيع، وليس بالقوي. وقال البخاري، وأبو حاتم: لا يحتج به. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، هو أحبُّ إليَّ من يزيد بن أبي زياد.وقال الفسوي: اختلط في كبره.وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه. فهذه النقول عن أئمة الجرح والتعديل النقّاد المهرة، صرَّحتْ بسبب الجرح وقد اجتمعت في سوء حفظه لاختلاطه في كِبَره، وأما تشيُّعه فلا يسقط الروايةَ عنه فإنه داعٍ إلى رواية سنة وقد صدق . وأقلُّ أحواله أنه صدوق وأما الدارقطنيُّ فليّنه، لكن يُكتب حديثه، خاصة إذا روى مقرونا أو متبوعا.

وقد حقق أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد وثاقته ، وروى له الترمذي في سننه في موضعين وصحَّح حديثه ولم يتعقبَّه بعلة غير أنه أردفه متبوعا برواية المتابعة، وقد نقلنا آنفا تعديله بقوله صدوق، فلا غروَ أن يُتقبَّل ، مع ترجيح توثيقه خاصة وأنه يروي في الفضائل والتفسيرلا في الأحكام فهذا أقل التحرِّي.

ثم إنَّ له شاهداً من حديث جابر مرفوعا " " لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ ".أخرجه الحاكم في المستدرك، من طريق محمد بن عبد الوهاب البغدادي حدثنا جعفر بن عونٍ عن السديِّ الكبير عن ابن المنكدر عن جابر وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ . وقد ضعَّفه الألباني وأعلَّه بالانقطاع بين جعفر بن عونٍ وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي، إذ وفاة الأخير سنة (هـــ١٢٧) ، وظن أن ابن عون لم يولد بعدُ أو هوصغير . وهذا الحكم غير كافٍ ، فإنَّ ولادة جعفر بن عون سنة (١٠٩ هـــ)،وعليه فاللقاء بينهما محتمل وغير مردود فإنَّ شرط مسلم المعاصرة كما لا يخفى . فترجَّح بهذا التقرير قــول الحاكم في مستدركه وله شاهد آخر من حديث أسماء بنت يزيد قالت :

=

٤ – قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

= " نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة " أخرجه الطبراني في الكبير من طريق قبيصة عن سفيان الثوري، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء. وقال الهيثمي في المجمع " فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق " اهـ

وقد اختلف في شهر بن حوشب، فقال التِّرْمِذِيُّ: قَالَ مُحَمَّدٌ –يَعْنِي: البُخَارِيَّ–: شَهْرٌ حَسَنُ الحَدِيْثِ. وَقَوَّى أَمْرَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا تَكَلَّمَ فِيْهِ ابْنُ عَوْنٍ، ثُمَّ إِنَّهُ رَوَى عَنْ رَجُلٍ، عَنْهُ ، ووثَّقه العِجليُّ ، وابن معين. وقال أبو زرعة لا بأس به. وقال النسائي ليس يالقوي .وَقَالَ يَعْقُوْبُ بنُ سُفْيَانَ: شَهْرٌ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيْهِ ابْنُ عَوْنٍ، فَهُوَ ثِقَةٌ. اهـ

فعلى هذا التقرير من نقول أحكام النُّقَّاد يفسَّر الجرح بطعن غير مصرَّح وأما النسائي فمعلوم مذهبه في قوله ليس بالقوي أنه لم يتفق على تعديله، والواقع يشهد رواية الأثبات عنه في مصنفاتهم لما تيقنوه من عدالة وصدق، قال الذهبي في السِّيَر " قُلْتُ: الرَّجُلُ غَيْرُ مَدْفُوْعٍ عَنْ صِدْقٍ وَعِلْمٍ، وَالاحْتِجَاجُ بِهِ مُتَرَجِّحٌ " .

فلا غرو من تصحيح حديث موضوعنا من نزول سورة الأنعام جملة واحدة، مع اختلاف يسير في الألفاظ لما علمنا من شهرة الرواية بالمعنى، وأما ما أوردنا عن ابن عباسٍ من إفادة نزول سورة الأنعام جملةً في ليلة واحدة، فالظاهر انفراد الرواية بزيادة "ليلة " وليس بمشكل فإنَّ الزيادات محلُّ قبول إذا انفرد الثقة ولم يأتِ ما يثبت خلافه مع التحري التام في جواز الرواية اختصاراً ، فيُحتمل تصرف الرواة في ذكر نزول سورة الأنعام بالمعنى تارة وبالاختصار تارة أخرى ، والله الموفق .

والذي يتاكد على هذا التحرير مع الاِعتذار عن الإطالة فيه تقرير الآتي :

– صحة حديث ابن عباس في نزول سورة الأنعام جملة واحدة في ليلة واحدة لما سبق من الشواهد ولإجماع المفسرين على نزولها كذلك .

ينظر : ميزان الاعتدال، الذهبي، شمس الدين (٣/ ١٢٨) و (١٢/ ٢٧٤) .ومسند الإمام أحمد، أبن حنبل :هامش رقم... شاكر (١/ ٥٠٤) وهامش رقم (٤/ ٤٨٠) .ومجمع الزوائد ، الهيثمي، نور الدين علي بن سليمان ، (٢٠/٧) برقم ١٠٩٩٣. وسير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين (٤/ ٣٧٤) . وسلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، الألباني، محمد ناصر الدين (٢٧٤/١٢) . والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، هامش رقم ١– (١٢/١٢). وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٢٣٧) .

فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧] ، نزلت في توبة كعب بن مالك ومن معه من المخلَّفين، ففي الصحيح من حديث كعب: فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل[١].

٥ – أول سورة الحج– عن عمران بن حصين: أنها نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وقد نعس بعض القوم وتفرق بعضهم، فرفع بها صوته[٢]. انتهى.

٦ – قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] ، نزلت ليلة الإسراء بـــ (بيت المقدس) [٣] .

٧ – عن عمر – رضي الله عنه – مرفوعاً: نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى١٤٢٢، (٧٠/٦) برقم ٤٦٧٧– .

(٢) المعجم الكبير، الطبرانيُّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـــ . رقم ١٥٠٥٠، –١٥٥/١٨. وقد رُويَ هذا الحديث من وجهٍ آخر عن أنس بن مالك بلفظ " نزلت – يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ – إلى قوله – وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ " على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه....الحديث" التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن: (٨/ ٢٤٧٢) .وينظر: المسند الصحيح (بترتيب ابن بلبان)، التميمي ابن حبان، محمد ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـــ . وقال المحقق " إسناده صحيح على شرط الشيخين" (رقم ٧٣٥٤– ٣٥٢/١٦) . وعزاه إلى مسند أبي يعلى وصحَّحَ إسنادَهُ مجمعُ الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، نورالدين عليُّ بن أبي بكر،(٣٨٤/٤) . وللحديث طرقٌ أخرى بلفظ آخر تفيد النزول اللَّيليَّ ذكرناها في معرض البحث الثاني حال الشرح والتحليل

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، من رواية ابن زيد مقطوعاً عليه، (٦١٢/٢١) . والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن إبراهيم ، من رواية الزهريِّ مقطوعاً عليه أيضاً، وقد ضعفه محقِّق الكتاب وقال" ضعيف جدًا؛ المسيب متروك، بالإضافة إلى أنه مرسل، وفيه من لم أجده". (٢٣/ ٤٥٤)

مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فقرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ بالفتح: ١] [(١)].

٨ – سورة المنافقون– عن زيد بن أرقم: أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك[(٢)] .

٩ – عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن: " أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١] [(٣)] .

١٠ – سورة المرسلات، قال السيوطيُّ " ومنها سورة المرسلات. قال السخاوي في جمال القراء: روي عن ابن مسعود أنها نزلت ليلة الجن بحراء [(٤)] ".

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن إسماعيل: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية. (١٢٢/٥رقم ٤١٧٧)

(٢) عزاه السيوطي بهذا اللفظ إلى جامع الترمذي مختصراً، وهو في جامعه بغير هذا السياق إذ لم يرد التَّصريح بنزول السورة ليلاً، ولفظه من رواية الحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ القُرَظِيَّ، مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً يُحَدِّثُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ:" يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" [المنافقون: ٨] قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَحَلَفَ مَا قَالَهُ، فَلَامَنِي قَوْمِي وَقَالُوا: مَا أَرَدْتَ إِلَى هَذِهِ، فَأَتَيْتُ البَيْتَ وَنِمْتُ كَئِيبًا حَزِينًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ:"هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[المنافقون: ٧] هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. الجامع الكبير، الترمذي ، محمد بن عيسى (٥/ ٢٧٤) . وهذه الرواية تومئ إلى النزول اللَّيليِّ إلاَّ ما خيف من اعتراض حمل النوم على الهاجرة، لكن يقوِّي مأخذ السيوطي في اعتبار نزولها ليلاً مارواه الترمذيُّ في موضع آخر من الجامع " فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ." قال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. الجامع الكبير، الترمذي (٥/ ٢٧٢–٢٧٣) .

(٣) المسند الصحيح المختصر، ابن الحجاج ،مسلم: باب فضل المعوِّذتين: تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ب تا . رقم ٨١٤–٥٥٨/١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٨٤) . وينظر جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، عليُّ بن محمد (٦٤/١).وقد ورد الحديث بسياق مختلف في دواوين السنة، فأشار السيوطيُّ إلى تخريج الإسماعيلي =

= بزيادة "ليلة عرفة" وهو في البخاري مختصراً من غير زيادة، وعند الإمام احمد في المسند بلفظ مقارب وسياق مختلف في مواضع من مسند ابن مسعودٍ رضي الله عنه ، ولفظه من من طريق يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحق عن عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: نزلتْ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم:" وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا "، ليلةَ الجَيّة، قال: فقلنا له: وما ليلة الحية يا أبا عبد الرحمن؟، قال: بينما نحن مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بحِرَاء ليلاً خرجتْ علينا حية من الجبل، فأمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقتْلها، فطلبناها، فأعجزتنا، فقال: "دعوها عنكم، فقد وقاها الله شركم، كما وقاكم شرَّها". وقال أحمد شاكر إسناده صحيح . – مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، أحمد برقم ٤٣٧٧–(٤/ ٢٣٤) .وفي رواية زر بن حبيش عن ابن مسعود كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سفح جبل، وهو قائم يصلي، وهم نيام، قال: إذ مَرَّتْ به حَيّة، فاستيقظنا وهو يقول: "منعها منكم الذي منعكم منها"، وأُنزلتْ عليه:"وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا"، فأخذتها وهي رَطْبَة بفِيه..." مسند أحمد (٤/ ٢٢٠) رقم ٤٣٣٥.

المبحث الثاني

مقتضى الحال لما نزل ليلاً.

الكلام البليغ هو ما يراعى فيه مقتضى الحال، "ومقتضى الحال – هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين" [(١)]. و" لمراعاة مقتضى الحال لابدّ من ثلاث زوايا: أ– حال السياق، ب– حال المتكلم، ج– حال المخاطب. وإنّ أفضل تعبير هو أسلوب القرآن الكريم الذي راعى الأحوال وقدَّر الظروف وسبر أغوار النفوس ... ؟! فجاء – رغم كلّ ذلك – مقتضياً للحال مُغنياً في كل مقام عن أي مقال ومقال! فهو الكتاب الوحيد الذي اهتم بخطاب العقل والقلب معًا، ولا يخفى على علماء العربية وجهابذة اللغة مدى بلاغته ومراعاته لمقتضى الأحوال " [(٢)] . قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] ، قال السعدي : "بالحكمة – أي : كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا"[(٣)]. ولكي نقف على الفوائد البليغة والمنهجية، والحكم البالغة فيما نزل من القرآن ليلاً، لابدّ من معرفة مقتضى الحال لكل آية من هذه الآيات ليتجلَّى المعنى أدقَّ، وليطَّلع البحث على شيء من دُرر الاستنباط ومحاسن التأويل، وهذا ما نسعى إليه ونرومه من الدراسة والتَّحرير.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/ الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. ضبط وتدقيق وتوثيق/ د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت . ص ٤٠ .

(٢) مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم/د. سميرة عدلي محمد رزق. منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العلمية .

(٣) تيسير الكريم الرحمن/ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر : ص ٤٥٢.

المطلب الأوَّل: القول فيما نزل ليلاً من ربع القرآن الأول :

الفرع (١) : قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ إلى آخر سورة [آل عمران:١٩٠-٢٠٠] .

عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها–:" أَنَّ بِلَالًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَذِّنُهُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ فَوَجَدَهُ يَبْكِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[آل عمران:١٩٠] ! ثُمَّ قَالَ: وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ!" [(١)]. ومقتضى الحال لهذه الآيات: هو تثبيت المؤمن معنوياً وحسياً على كل كما ورد في أول السورة بقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨] ، وختمها بقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمرآن :٢٠٠] . " فَخَتَمَ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ بِالْأَمْرِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِي آيَاتِهِ، إِذْ لَا تصدر إلا عن حي قيوم قدير قدوس سَلَامٍ غَنِيٍّ عَنِ الْعَالَمِينَ، حَتَّى يَكُونَ إِيمَانُهُمْ مُسْتَنِدًا إِلَى الْيَقِينِ لَا إِلَى التَّقْلِيدِ:(لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)، الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي تَأَمُّلِ الدَّلَائِلِ"[(٢)]. ففي النصف الأول من السورة الحوار مع غير المؤمنين ليدلهم على طريق الهداية، ويدعو المؤمنين إلى الثبات على الحق، وفي النصف الثاني الثبات لأهل أُحُدٍ بعدما أصابهم ما أصابهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] ، وسبب النزول يوضح

---

(١) المسند الصحيح "صحيح ابن حبان" (بترتيب ابن بلبان)، التميمي أبو حاتم، محمد: باب التوبة: ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣. (٢/ ٣٨٦) برقم : ٦٢٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي محمد بن أحمد: (٤/ ٣١٠).

ذلك: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:" أَتَتْ قُرَيْشٌ، الْيَهُودَ فَقَالُوا: بِمَ جَاءَكُمْ مُوسَى؟ قَالُوا: عَصَاهُ وَيَدُهُ بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ، وَأَتَوُا النَّصَارَى، فَقَالُوا: كَيْفَ كَانَ عِيسَى؟ قَالُوا: كَانَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ، وَالْأَبْرَصَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى، فَأَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلْ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، " فَدَعَا رَبَّهُ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٠] (١) .

قال الرازي:" اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ جَذْبُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ إِلَى الِاسْتِغْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ فِي تَقْرِيرِ الْأَحْكَامِ وَالْجَوَابِ عَنْ شُبُهَاتِ الْمُبْطِلِينَ عَادَ إِلَى إِنَارَةِ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْجَلَالِ، فَذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ " (٢) ، وإنّه من أهم السمات الظاهرة في السورة هي معالجة النفس البشرية بكل رفق ولطف وإرشادٍ وتوجيه : وقت الرخاء والراحة ، ووقت الشدة والبلاء ، ووقت اختلاط الأمور والتباس الحقائق .

ومن مظانِّ استفادة المسلم من الآية التنزيل الواقعيُّ للآية نفسها بتتبُّع أوقات الاستجابة الربانية وتجلِّيات الرحمة والهداية بما يتأوَّلُهُ سُلُوكُهُ من قيام الليل، وقتَ نزول الرَّبِّ سبحانه، وتفضيل الإنابة إليه وهداه على ما يجده من شدَّة وطأة ليلته، وأحْسَنُ منِ امتثل لهذا الصَّنيع من الجمع بين الآية وتطبيقاتها سيِّدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لـــمَّا قرأ الآية وهو قائم يصلّي، كذا في المسند من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه:" أنه بات عند نبي الله – صلى الله عليه وسلم – ذاتَ ليلة، فقام نبي الله – صلى الله عليه وسلم – من الليل، فخرج فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية التي في آل عمران: ﴿ إِنَّ

---

(١) التفسير المسند ، الرازي ،ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد رقم: (٤٦٥٥)، والطبراني، سليمان بن أحمد/ في المعجم الكبير: (١٢/١٢ رقم ١٢٣٢٢). وقال الهيثمي، "وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف". مجمع الزوائد، الهيثمي، نور الدين على بن أبي بكر (٣٣٢/٦) .

(٢) مفاتيح الغيب / الرازي: محمد بن عمر:، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الثالثة١٤٢٠هـ. (٥٨ ٤/٩) .

فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ . حتي بلغ ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . ثم رجعَ إلىَ البيت فتسوّك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اَضطجع، ثم رجع أيضاً فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية، ثم رجع فتسوّك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم رجع أيضاً فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية، ثم رجع فتسوّك وتوضأ، ثم قام فصلى"[١] ؛ بل ترجمَ الحافظُ ابنُ حبّانٍ لهذا في صحيحه بقوله:" ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَرْءَ عَلَيْهِ إِذَا تَخَلَّى لُزُومُ الْبُكَاءِ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْحَوْبَاتِ وَإِنْ كَانَ بَائِنًا عَنْهَا مُجِدًّا فِي إِتْيَانِ ضِدِّهَا"[٢]، وهو معنىً وظيفيٌّ وبُعْدٌ تربويٌ للمسلم إذ يناجي ربَّه بمضمَّن هذه الآية ومأدبتها الإيمانية .

الفرع (٢) : آية : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة-٦٧]، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:" كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ"[٣]. و عَنْ عِصْمَةَ بْنِ مَالِكٍ الْخَطْمِيِّ قَالَ:" كُنَّا نَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ حَتَّى نَزَلَتْ فَتَرَكَ الْحَرَسَ"[٤]. ومقتضى الحال لهذه الآية الكريمة يمضي في اتجاهين: أ/ وقت نزولها على اختلاف فيه، أَهُوَ بعد الحديبية ، أم متأخر عنه وهو الأرجح ويؤكِّدُهُ الِاتِّجاه الثاني. ب/مدار الحديث في السورة على اليهود والنصارى، وقد صار الحوار مباشراً وصريحاً، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي

---

(١) المسند/ الشيباني ،ابن حنبل:أحمد ، تحقيق أحمد شاكر: (١٣١/٣) .

(٢) المسند الصحيح/ ابن حبان،: (٣٨٦/٢).

(٣) الجامع الكبير، الترمذي: محمد بن عيسى(٥/ ١٠١ رقم ٣٠٤٦)، والمستدرك على الصحيحين ،الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: (٢/ ٣٤٢ رقم ٣٢٢١)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٤) ينظر: السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين . تحقيق : محمد عبد القادر عطا . مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ ؛وقد عزاه إلى حديث ابن عباسٍ من طريق الزهريِّ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عنه، برقم:(٦٢٤٢)- ٢٥٨/٣ .

الْكُفْرِ ﴾ [الْمَائِدَة: ٤١] ، وَقَوْلِه: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [الْمَائِدَة:٤٩] . وأيضاً قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [الْمَائِدَة: ٥٩،٦٠] ، ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ ﴾ [الْمَائِدَة:٦٨] . وفي هذا الوقت أمر الله رسوله– صلى الله عليه وسلم– بإتمام البلاغ وعدم خشية أحد، قال الفخر: " ..الْأَوْلَى حَمْلُهُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى آمَنَهُ مِنْ مَكْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وأمَرَهُ بِإِظْهارِ التَّبْلِيغِ مِن غَيْرِ مُبالاةٍ مِنهُ بِهِمْ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا كَانَ كَلَامًا مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَامْتَنَعَ إِلْقَاءُ هَذِهِ الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ فِي الْبَيْنِ فَتَكُونُ أَجْنَبِيَّةً عَمَّا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا " [(١)] .

ويوضح ذلك سبب نزول الآية في قصة الرجم وغيرها[(٢)]. وفيها :" تَثْبِيت قَلْبِهِ– صلى الله عليه وسلم– وَشَرْح صَدْره بِأَنْ يَدُومَ عَلَى تَبْلِيغِ الشَّرِيعَةِ وَيَجْهَدَ فِي ذَلِكَ وَلَا يَكْتَرِثَ بِالطَّاعِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكُفَّارِ ... بِقَوْلِهِ :"وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" ، وَأَنَّ كَيْدَهُمْ مَصْرُوفٌ عَنْهُ بِقَوْلِهِ :"إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ " . فَالتَّبْلِيغُ الْمَأْمُورُ بِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَبْلِيغُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي تَقْرِيعِ أَهْلِ الْكتاب " [(٣)] .

الفرع (٣) : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" نزلت سورة (الأنعام) بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملكاً يجأرون بالتسبيح " [(٤)] . والجأر: رفع الصوت والاستغاثة، مِن فعلِ:" جَأَرَ يَجْأَرُ جَأْراً وجُؤَاراً: رَفَعَ صَوْتَهُ مَعَ تَضَرُّعٍ وَاسْتِغَاثَةٍ" [(٥)]؛

---

(١) مفاتيح الغيب/ الرازي محمد بن عمر: (١٢/ ٤٠١).وَ ينظر: جامع البيان/ الطبري محمد بن جرير:(١٠/ ٤٦٧).

(٢) مفاتيح الغيب/ الرازي (١٢/ ٤٠٠).

(٣) التحرير والتنوير/ الطاهر محمد بن عاشور/ : (٦/ ٢٥٨).

(٤) المعجم الكبير، الطبرانيُّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، برقم:(١٢٩٣٠-٢١٥/١٢).

(٥) لسان العرب/ ابن منظور، محمد بن مكرم: (٤/ ١١٢)

ومقتضي الحال لهذه السورة العظيمة– وقت نزولها في مكة والشرك حول الكعبة في أسوأ حالاته، والمشركون في كبريائهم وعتوِّهم – هو القضاء التام على ما كان في اعتقاد المشركين من الخضوع لأصنامهم وتأثير الأصنام عليهم، وإثبات التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى. ولذلك " قَالَ الْأُصُولِيُّونَ: هَذِهِ السُّورَةُ اخْتُصَّتْ بِنَوْعَيْنِ مِنَ الْفَضِيلَةِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَالثَّانِي: أَنَّهَا شَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ وَإِبْطَالِ مَذَاهِبِ الْمُبْطِلِينَ وَالْمُلْحِدِينَ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْأُصُولِ فِي غَايَةِ الْجَلَالَةِ وَالرِّفْعَةِ، وَأَيْضًا فَإِنْزَالُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْأَحْكَامِ قَدْ تَكُونُ الْمَصْلَحَةُ أَنْ يُنْزِلَهُ اللَّه تَعَالَى قَدْرَ حَاجَتِهِمْ، وَبِحَسَبِ الْحَوَادِثِ وَالنَّوَازِلِ. وَأَمَّا مَا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ الْأُصُولِ فَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّه تَعَالَى جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَعَلُّمَ عِلْمِ الْأُصُولِ وَاجِبٌ على الفور لا على التراخي"[(١)]. وأوجزَ القرطبيُّ حين قال:" قَالَ الْعُلَمَاءُ هَذِهِ السُّورَةُ أَصْلٌ فِي مُحَاجَّةِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُبْتَدِعِينَ وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَهَذَا يَقْتَضِي إِنْزَالَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً لِأَنَّهَا فِي مَعْنًى وَاحِدٍ مِنَ الْحُجَّةِ وَإِنْ تَصَرَّفَ ذَلِكَ بِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَعَلَيْهَا بَنَى الْمُتَكَلِّمُونَ أُصُولَ الدِّينِ"[(٢)].

وخلاصة القول إنّها((أَجْمَعُ سُوَرِ الْقُرْآنِ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَشَدُّهَا مُقَارَعَةَ جِدَالٍ لَهُمْ وَاحْتِجَاجٍ عَلَى سَفَاهَةِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعامِ نَصِيباً ﴾ [الْأَنْعَام:١٣٦] ، وَفِيمَا حَرَّمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ. ولذلك قال ابْنُ عَبَّاسٍ– رضى الله عنه–:"إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَما كانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [(٣)]))[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب/ الرازي فخر الدين، محمد بن عمر: (١٢/ ٤٧١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي محمد بن عبد الرحمن:(٦/ ٣٨٣).

(٣) المسند الصحيح المختصر/ البخاري، محمد بن اسماعيل: كتاب الجمعة، بَاب جَهْلِ الْعَرَبِ. (٤/ ١٨٤ رقم ٣٥٢٤)

(٤) ينظر: التحرير والتنوير/ الطاهر محمد بن عاشور:(١٢٥/٧).

المطلب الثاني : دراسةُ ما نزل ليلاً من الربع الثاني إلى آخر القرآن:

الفرع (١) : قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى آخر الآيات التي أنزلت في توبة الذين خُلِّفوا، ففي الصحيح من حديث كعب:" فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل"[(١)]. ومقتضى الحال لهذه الآيات هو حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، فقد تحدث عن الغزوة بالتفصيل، مبيناً حال الذين قاتلوا، وحال المنافقين، وحال الذين تخلفوا، والذين صدقوا، لنصلَ في النهاية إلى أنّ النفاق هلاك وخسارة الدنيا والآخرة، والصدق نجاة وسعادة:" فعن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ – وَهُوَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ، أَنَّهُ قال: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، غَيْرَ غَزْوَتَيْنِ غَزْوَةِ العُسْرَةِ، وَغَزْوَةِ بَدْرٍ – قَالَ: فَأَجْمَعْتُ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى، وَكَانَ قَلَّمَا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ سَافَرَهُ إِلَّا ضُحًى، وَكَانَ يَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلاَمِي، وَكَلاَمِ صَاحِبَيَّ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلاَمِ أَحَدٍ مِنَ المُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلاَمَنَا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الأَمْرُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ فَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلاَ يُصَلِّي وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ» قَالَتْ: أَفَلاَ أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: «إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ» حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى١٤٢٢، برقم:(٤٦٧٧-٦/٧٠)..

الفَجْرِ آذَنَ بتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبْشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ القَمَرِ، وَكُنَّا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا عَنِ الأَمْرِ الَّذِي قُبِلَ مِنْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ اعْتَذَرُوا، حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ لَنَا التَّوْبَةَ، فَلَمَّا ذُكِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المُتَخَلِّفِينَ وَاعْتَذَرُوا بِالْبَاطِلِ، ذُكِرُوا بِشَرِّ مَا ذُكِرَ بِهِ أَحَدٌ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ، قُلْ: لاَ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:٩٤] الآيَةَ " [1] . وهذا هو المحور الأساسُ للسورة الكريمة الذي يدور في إعلان البراءة من أفعال الكافرين، وإعلان المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الإيمان وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل النفاق، وذلك بمعاداة من أعرض عن اتباع الداعي إلى الله في توحيده، واتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه. يدل على هذا المقصد: قصة الثلاثة المخلَّفين، فإنهم هُجروا، وأُعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام وبالسلام، إلى أن تاب الله عليهم الكريمة يعطي أملاً في فتح باب العودة إلى مرضاة الله لكل من قصّر أو أساء، ووضح ذلك بتوبة الله على النبي– صلى الله عليه وسلم–، والمهاجرين والأنصار، ثمّ توبته سبحانه على من صدق ممن تخلّف عن غزوة تبوك. وذلك بعد أن قطع عنهم النبي– صلى الله عليه وسلم– كل وسيله تواصل أو اتصال : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ [التوبة: ١١٨] ، فناسب أن يتوب الله عليهم ويعفوا عنهم في جوف الليل بعد ليل طويل من البكاء والتضرع والتذلل إلى الله تعالى، وكان الصدق سبباً في ذلك، ولذلك ختم الله القصة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة :١١٩] ، وهذا كَعبُ بْنُ مَالِكٍ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ:" فو الله مَا أَعْلَمُ أَحَدًا... أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، ومَا

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري محمد بن اسماعيل: كتاب :المغازي، باب : حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ [التوبة: ١١٨]، (٦/ ٧٠ رقم ٤٦٧٧).

تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ توبته على رسوله وأصحابه"[1]. " والآيةُ بِمَنْزِلَةِ التَّذْيِيلِ لِلْقِصَّةِ فَإِنَّ الْقِصَّةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ذِكْرِ قَوْمٍ اتَّقَوُا اللَّهَ فَصَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَجِهَادِهِمْ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَذِكْرِ قَوْمٍ كَذَبُوا فِي ذَلِكَ وَاخْتَلَقُوا الْمَعَاذِيرَ وَحَلَفُوا كَذِبًا فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ وَصَدَقُوا فِي الِاعْتِرَافِ بِعَدَمِ الْعُذْرِ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ سَبَبُ فَوْزِ الْفَائِزِينَ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا هُوَ الصِّدْقُ لَا جَرَمَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ وَبِأَنْ يَكُونُوا فِي زُمْرَةِ الصَّادِقِينَ مِثْلَ أُولَئِكَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ تَضَمَّنَتْهُمُ الْقِصَّةُ"[2].

الفرع (٢) : أوَّلُ سورة الحج، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ، عن عمران بن حصين: " أنها نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وقد نعس بعض القوم وتفرق بعضهم، فرفع بها صوته"انتهى[3]. ومقتضى حال هاتين الآيتين ينتج من حال النبي– صلى الله عليه وسلم – وحال أصحابه وقت نزول الآية عند عودته من سفره، وما حدث من عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، وحادثة الإفك، وكذا قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلّ، وقد ظهر أثرها على الصحابة حين قرأها النبي– صلى الله عليه وسلم– عليهم وذكَّرهم بحديث بعث النار: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾، قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَلِكَ يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَأَنْشَأَ الْمُسْلِمُونَ

---

(١) المرجع السابق، البخاري، محمد بن إسماعيل: (٦/ ٧٠ رقم ٤٦٧٧).

(٢) التحرير والتنوير: بن عاشور ، محمد الطاهر (٥٤/١١).

(٣) المعجم الكبير، الطبرانيُّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد. تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ . رقم ١٥٠٥٠ ، ١٥٥/١٨.

يَبْكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلاَّ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا جَاهِلِيَّةٌ، قَالَ: فَيُؤْخَذُ العَدَدُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنْ تَمَّتْ وَإِلاَّ كَمُلَتْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَمَا مَثَلُكُمْ وَالأُمَمِ إِلاَّ كَمَثَلِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ أَوْ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرُوا قَالَ: وَلاَ أَدْرِي؟ قَالَ: الثُّلُثَيْنِ أَمْ لاَ؟"[1]. ويزيد الأمر وضوحاً حينما نعلم أنّ النبي– صلى الله عليه وسلم– رفع بهذه الآية صوته حتى ثاب إليه أصحابه وكان ذلك في جوف الليل"[2]. فأيّ حال هذا الذي يُسمعُ فيه من النبي– صلى الله عليه وسلم– فجأة ولأول مرة : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ*يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:١–٢] !!!!!! .

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل: من حديث أبي سعيد الخدري:، كتاب التفسير، بَابُ: { يم يى يي }[الحج: ٢]. (٩٧/٦رقم ٤٧٤١) .و المسند الصحيح المختصر، ابن الحجاج : مسلم بن الحجاج كتاب الإيمان، ٩٦ – بَابُ قَوْلِهِ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. (٢٠١/١ رقم٢٢٢)، و الجامع الكبير ، الترمذي، محمد بن عيسى: واللفظ له، أبواب التفسير، ٢٣– بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الحَجِّ. وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. :(٥/ ١٧٤رقم ٣١٦٨)، .

(٢) المسند، الشيباني، أحمد بن حنبل: :(١١٤/٣٣رقم١٩٨٨٤) بنحوه. وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح. والمستدرك على الصحيحين ، الحاكم ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله، كتاب العلم من حديث أنس، وقال: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. (٤/ ٦١٠رقم ٨٦٩٢) ، ورواية الإمام أحمد صريحةٌ في أن وقت نزول الآية ليلاً، وشاهدها كما تقدم" وكان ذلك في جوف اللَّيل" .

الفرع (٣) :

قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الزخرف:٤٥]، تقدم أنها نزلت ليلة الإسراء بـــ (بيت المقدس)، والأقوال في الآية كثيرة، ورجَّحَ القرطبيُّ أنها في سؤاله– صلى الله عليه وسلم– إخوانه من الأنبياء ليلة المعراج[١] وليس بذاك فقد أباه الطبريُّ من قبلُ وقال: (وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني به: سل مؤمني أهل الكتابين[٢])؛ ومقتضي الحال لهذه الآية على مذهب القرطبي:" أَنَّ الْيَهُودَ وَالْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مَا جِئْتَ بِهِ مُخَالِفٌ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِسُؤَالِهِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَى جِهَةِ التَّوْقِيفِ وَالتَّقْرِيرِ، لَا لِأَنَّهُ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْهُ"[٣].وفيها " رَدٌّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٢] ، أَيْ " ليس آباؤكم بأهدى من الرسل الأولين إن كنتم تزعمون تكذيب رسولنا لأنه أمركم بإفراد الله بالعبادة "[٤]. وكان المراد بها:" الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه، حتى يكذب ويعادى له، فإنه أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة " [٥] .

أو المراد:" الاستشهاد بيان إجماع المسلمين على التوحيد، والتنبيه على أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – ليس ببدع من بين الرسل في الأمر، حتى يكذب ويعادى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن عبد الرحمن:(٩٥/١٦).

(٢) جامع البيان الطبري، محمد بن جرير:(٦١٢/١٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن عبد الرحمن:(٩٦/١٦).

(٤) تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور، الطاهر محمد:(٢٢٢/٢٥).

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ الأرمي محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري الشافعي، (٢٥٧/٢٦)،إشراف ومراجعة/ الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي– دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٦) تفسير المراغي/ المراغي أحمد بن مصطفى ١٣٧١هـ)، (٩٤/٢٥)، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

وأما على مذهب الطبريِّ، وهو الصحيح المعتمد لما تبيَّن من ضعف الآثار في سبب النزول، ولما في سياق الآيةِ من استصحاب إشهاد أهل الكتابين على حجة ما بُعثَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فإنَّ الآية مكيةٌ والتذكير بما عند أهل الكتاب من الحجة على بعثة الرسل أوكد في إلزام الناس بأحقية التوحيد وصدق التوبة .ولذلك ورد في السورة نفسها الاستبصار بما حصل لموسى عليه السلام مع قومه، للاقتداء به في الصبر على دعوة التوحيد.

الفرع (٤) : سورة الفتح، ففي البخاري من حديث عمر – رضي الله تعالى عنه –:" نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فقرأ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ [الفتح:١] [(١)].

وهذه السورة:" مَدَنِيَّةٌ عَلَى الْمُصْطَلَحِ الْمَشْهُورِ فِي أَنَّ الْمَدَنِيَّ مَا نَزَلَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَلَوْ كَانَ نُزُولُهُ فِي مَكَانٍ غَيْرِ الْمَدِينَةِ مَنْ أَرْضِهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا"[(٢)]. فقد:" نَزَلَتْ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ كُرَاعَ الْغَمِيمِ وَهُوَ مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ، وَقِيلَ نَزَلَتْ بِضَجْنَانَ وَهُوَ جَبَلٌ قُرْبَ مَكَّةَ. وَنَزَلَتْ لَيْلًا فَهِيَ مِنَ الْقُرْآنِ اللَّيْلِيِّ. وَنُزُولُهَا سَنَةَ سِتٍّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ منصرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ– بعد الهدنة التي جرَت بينه وبين قومه– وَقَبْلَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الصَّفِّ وَقَبْلَ سُورَةِ التَّوْبَةِ"[(٣)]. ومقتضى الحال لهذه السورة

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل: (١٢٢/٥رقم ٤١٧٧)، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية. أحمد : (٢٥٤/١ رقم ٢٠٩)، أول مسند عمر بن الخطاب. والجامع الكبير، الترمذي محمد بن عيسى: (٢٣٨/٥ رقم ٣٢٦٢)، أبواب التفسير، باب ومن سورة الفتح.

(٢) ملحوظة: ذكر ابن كثير في تفسيره :(٣٢٥/٧): أنها مكية على اعتبار أنّ المكي ما نزل بمكة.

(٣) ينظر جامع البيان/ الطبري ، محمد بن جرير:(١٩٨/٢٢). الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي:(٢٥٩/١٦)= وحكى الإجماع على مدنيتها. التحرير والتنوير/ الطاهر محمد بن عاشور: (١٤١/٢٦).

الكريمة: الترويح عن المسلمين، وتهدئة حالهم، بعد العنت الشديد الذي لاقوه من قريش في صدهم عن البيت، وقسوة شروط صلح الحديبية عليهم– من وجهة نظرهم–، فقد " تضمنَّتْ هذه السورة بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية وأنه نصر وفتح فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين وأزال حزنهم من صدهم عن الاعتمار بالبيت وكان المسلمون عدة لا تغلب من قلة فرأوا أنهم عادوا كالخائبين فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين. والتنويه بكرامة النبيء صلى الله عليه وسلم عند ربه ووعده بنصر متعاقب. والثناء على المؤمنين الذين عزروه وبايعوه، وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل " [(١)] .

فعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ:" تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةٍ"[(٢)]. وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ:" كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ –ثَلَاثَ مَرَّاتٍ–فلم يَرُدَّ عَلَيَّ، قَالَ: فَقُلْتُ لِنَفْسِي: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابن الْخَطَّاب، نَزَرْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثٌ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَرَكِبْتُ رَاحِلَتِي فَتَقَدَّمْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ، قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِمُنَادٍ يُنَادِي: يَا عُمَرُ، أَيْنَ عُمَرُ؟ قَالَ:فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٍ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:١–٢] [(٣)] .

---

(١) التحرير والتنوير/ بن عاشور، محمد الطاهر :(٢٦/ ١٤٢).

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل (١٢٢/٥رقم ٤١٥٠)، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية.

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل:(١٢٢/٥رقم ٤١٧٧)، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية. الشيباني/أحمد بن حنبل:(٢٥٤/١ رقم ٢٠٩)، أول مسند عمر بن الخطاب. والجامع الكبير، الترمذي محمد بن عيسى: أبواب التفسير، باب ومن سورة الفتح. (٢٣٨/٥ رقم ٣٢٦٢) .

وعَنْ مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ:" شَهِدْنَا الْحُدَيْبِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إِذَا النَّاسُ يُنَفِّرُونَ الْأَبَاعِرَ، فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا لِلنَّاسِ؟ قَالُوا: أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْنَا مَعَ النَّاسِ نُوجِفُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ عِنْدَ كَرَاعِ الْغَمِيمِ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ:"إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا"، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: أي رَسُولَ اللَّهِ، وَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: "إِي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَفَتْحٌ". فَقُسِّمَتْ خَيْبَرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ"[١].

الفرع (٥) : سورة المنافقون ، عن زيد بن أرقم : " أنها نزلت ليلاً في غزوة (تبوك) " [٢] ، وجزم ابن إسحاق أنها نزلت في غزوة (بني المصطلق) [٣] ، " وردَّ الحافظُ ابن كثيرٍ نزولها لمناسبة غزوة تبوك "فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، بَلْ رَجَعَ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ. وَإِنَّمَا الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيسيع، وَهِيَ غَزْوَةُ بَنِي المصطلق"[٤]. وأيضا:" لِأَنَّ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» ، يناسب الوقت الذي لم

---

(١) الشيباني أحمد بن حنبل ، السِّجِسْتاني سليمان بن الأشعث أبو داود: (١٦٠/٣ رقم ٣٠١٥)، كتاب الخراج والإمارة والفئ، باب ما جاء في حكم أرض خيبر. (٢١٢/٢٤ رقم ١٥٤٧٠)

(٢) الجامع الكبير، الترمذي محمد بن عيسى: أبواب تفسير القرآن، باب٦٣ – بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ. (٥/ ٢٧٢–٢٧٣)

(٣) وقفت عليه في: السيرة النبوية لابن هشام/ بن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد –٢١٣هـ ، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ١٤١١هـ. (٣/ ٥٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ،إسماعيل: (١٢٧/٨). وينظر التوضيح بشرح الجامع الصحيح، ابن الملقِّن، عمر بن عليّ، (٣٠٧/٢٣) . ولكنَّ الحافظ ابن حجرٍ أيَّد وقوع القصة لمناسبة غزوة تبوك لا المريسيع أو المصطلق لما ورد في صحاح الآثار إذ صرَّحت بها–أي غزوة تبوك– كرواية النسائي، والترمذي كما قد سبق . ينظر : فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٤٤) . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (٧/ ٣٨٤).

يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوءة وقد ضعف أمر المنافقين "[١]. ومقتضى الحال لهذه السورة:" بيان حال المنافقين في عقيدتهم وعبادتهم، وإظهار ما تخفيه نفوسهم وحقدهم على المؤمنين، حتى تصل إلى كيف التعامل معهم في حياتهم وبعد مماتهم، وذلك بعد أحداث عظيمة مريرة في غزوة بني المصطلق، وقد وضح ذلك في سبب نزول السورة الكريمة وما تنطق به آياتها.

وسبب نزولها: كما روي عن زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مَعَنَا أُنَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ فَكُنَّا نَبْتَدِرُ الْمَاءَ، وَكَانَ الأَعْرَابُ يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ، فَسَبَقَ أَعْرَابِيٌّ أَصْحَابَهُ، فَيَسْبِقُ الأَعْرَابِيُّ فَيَمْلَأُ الحَوْضَ وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حِجَارَةً وَيَجْعَلُ النِّطْعَ عَلَيْهِ حَتَّى يَجِيءَ أَصْحَابُهُ. قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَعْرَابِيًّا فَأَرْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِتَشْرَبَ فَأَبَى أَنْ يَدَعَهُ فَانْتَزَعَ قِبَاضَ الْمَاءِ، فَرَفَعَ الأَعْرَابِيُّ خَشَبَةً فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ الأَنْصَارِيِّ فَشَجَّهُ، فَأَتَى عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ فَأَخْبَرَهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، ثُمَّ قَالَ:(لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا)، يَعْنِي الأَعْرَابَ، وَكَانُوا يَحْضُرُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الطَّعَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِذَا انْفَضُّوا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَأْتُوا مُحَمَّدًا بِالطَّعَامِ، فَلْيَأْكُلْ هُوَ وَمَنْ عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لأَصْحَابِهِ:(لَئِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ)، قَالَ زَيْدٌ: وَأَنَا رِدْفُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، فَأَخْبَرْتُ عَمِّي، فَانْطَلَقَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَفَ وَجَحَدَ، قَالَ: فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَّبَنِي، قَالَ: فَجَاءَ عَمِّي إِلَيَّ، فَقَالَ: مَا أَرَدْتَ إِلاَّ أَنْ مَقَتَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَّبَكَ وَالْمُسْلِمُونَ. قَالَ: فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنَ الهَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَى أَحَدٍ. قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الهَمِّ، إِذْ أَتَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) التحرير والتنوير/ بن عاشور: (٢٨/ ٢٣٢).

وَسَلَّمَ فَعَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي، فَمَا كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الْخُلْدَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحِقَنِي فَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، إِلاَّ أَنَّهُ عَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي. فَقَالَ: أَبْشِرْ، ثُمَّ لَحِقَنِي عُمَرُ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قَوْلِي لأَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ"[١].

وهذا ما أكده أبو حيان في الربط بينها وبين سورة الجمعة بقوله " لَمَّا كَانَ سَبَبُ الِانْفِضَاضِ عَنْ سَمَاعِ الْخُطْبَةِ رُبَّمَا كَانَ حَاصِلًا عَنِ الْمُنَافِقِينَ، وَاتَّبَعَهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِسُرُورِهِمْ بِالْعِيرِ الَّتِي قَدِمَتْ بِالْمِيرَةِ، إِذْ كَانَ وَقْتَ مَجَاعَةٍ، جَاءَ ذِكْرُ الْمُنَافِقِينَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كَرَاهَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَتْبَعَهُ بِقَبَائِحِ أَفْعَالِهِمْ وَقَوْلِهِمْ"[٢]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ، فَيُحَرِّضُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ الْمُنَافِقِينَ فَيُفْزِعُ بِهِ الْمُنَافِقِينَ»[٣]. وذكر ذلك ابن عاشور، فقال وأغراضها: " فضح أحوال المنافقين بعد كثير من دخائلهم وتولد بعضها عن بعض من كذب، وخيس بعهد الله، واضطراب في العقيدة، ومن سفالة نفوس في أجسام تغر وتعجب، ومن تصميم على الإعراض عن طلب الحق والهدى، وعلى صد الناس عنه"[٤].

الفرع (٦) : سورتا الفلق والناس. عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن (قال أعوذ برب الفلق) و(قل

---

(١) الجامع الكبير، الترمذي بهذا اللفظ: (٥/ ٢٧٢ رقم ٣٣١٣)،أبواب تفسير القرآن، باب٦٣ – بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل، بلفظ قريب مختصر: (٦/ ١٥٢ رقم ٤٩٠٠)، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ .

(٢) البحر المحيط في التفسير/أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي٧٤٥هـ)، (١٧٩/١٠)، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني/ أبو القاسم سليمان بن أحمد: (١١٢/٩رقم ٩٢٧٩).

(٤) التحرير والتنوير/الطاهر محمد بن عاشور: (٢٨/ ٢٣٣). .

أعوذ برب الناس)" [١].

ومقتضى الحال لهذه السورة الكريمة والتي بعدها- سواءً أكانت السورة مدنية[٢]، أو مكية- وهو الراجح[٣]- أنهما كانتا في دفع أذىً وقع بالنبي- صلى الله عليه وسلم- فعلاً، كما في حديث السحر:" فعن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَحَرَهُ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ- فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ: سَنَةً- ثُمَّ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ أُشْعِرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ. أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي: مَا شَأْنُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ فِي مَاذَا؟ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذكر، تحت راعوفة في بئر ذي أوران فَجَاءَ الْبِئْرَ وَاسْتَخْرَجَهُ"[٤]. وكما في

---

(١) المسند الصحيح المختصر، ابن الحجاج ،مسلم: باب فضل المعوِّذتين: تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ب تا . رقم ٨١٤-٥٥٨/١.

(٢) ذكر ذلك السيوطي في الإتقان في علوم القرآن/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي٩١١ هـ، ص ٣٧ ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

(٣) وهو الظاهر من مجموع الروايات عن ابن عباسٍ رضي الله عنه ، وهو ما أكده ابن عاشور بقوله:" وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ لِأَنَّ رِوَايَةَ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَقْبُولَةٌ بِخِلَافِ رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَفِيهَا مُتَكَلَّمٌ. ..." التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٦٢٤/٣٠). غير أنَّ ثبوت الحديث من رواية عقبة بن عامر وهو جهنيٌّ يشعر بمدنية السورة وصحة ما ذهب إليه السيوطي.

(٤) فقد ذكر الواحدي:" أنه سبب نزول السورة" في: أسباب نزول القرآن/ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(٤٦٨هـ)، ، تحقيق/ عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الثانية، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٧٣ . وهو ما ذكره صاحب: مفاتيح الغيب ، الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الثالثة ١٤٢٠ هـ . (٣٦٨/٣٢) . وكذا تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن / الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة / الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة بيروت لبنان ، الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م . (٤٥٥/٣٢) .

حديث الريح المظلمة: فعَنْ عقبة بن عامر قَالَ:" بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَالْأَبْوَاءِ، إِذْ غَشَتْنَا رِيحٌ مُظْلِمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ ب (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، وَ(أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، وَيَقُولُ:" يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا"(١). أو في حديث شكوى الوجع: فعَنْ عَائِشَةَ:" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، كُلَّمَا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا"(٢). أو كانت السورة حرزاً لصاحبها خشية الضرر: كما عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ:" أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ يوسف. فقال لي: ولن تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ). قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ"(٣). والله أعلم.

وقد لخص ذلك صاحب التحرير والتنوير أغراض السورة بقوله: " والغرض منها تعليم النبيء صلى الله عليه وسلم كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يستر أفعال الشر من ورائها لئلا يرمى فاعلوها بتبعاتها، فعلم الله نبيئه هذه المعوذة ليتعوذ بها، وقد ثبت أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهذه السورة وأختها ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين"(٤) .

---

(١) السنن، أبو داود، سليمان بن الأشعث ، أبواب فضائل القرآن ٣٥٢- باب في المعوِّذتَين، :(٢/ ٧٣ رقم ١٤٦٣) . شعب الإيمان / البيهقي:، فصل في فضائل السور والآيات، تخصيص المعوذتين بالذكر. (١٥٩/٤ رقم ٢٣٢٨) .

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل :(١١/٦رقم٤٤٣٩)،كتاب المغازي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ. ومسلم بن الحجاج، كتاب السلام، ٢٠ – بَابُ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالنَّفْثِ. (١٧٢٣/٤رقم ٢١٩٢) .

(٣) المسند، الشيباني أحمد بن حنبل:(٢٨/ ٦٣٤ رقم ١٧٤١٨). و صحيح ابن حبان ،محمد ابن حبان : باب صفة الصلاة، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ قِرَاءَةَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ مِنْ أَحَبِّ مَا يَقْرَأُ الْعَبْدُ فِي صَلَاتِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا. (١٥٠/٥ رقم ١٨٤٢) والسنن الكبرى، النسائي أحمد بن شعيب (٢٥٤/٨رقم ٥٤٣٩) .

(٤) التحرير والتنوير/الطاهر محمد بن عاشور (٦٢٥/٣٢) .

المبحث الثالث

الأثرُ المقاصدي في نـــزول القرآن اللَّيليِّ

تقدَّم الكلامُ عن مقتضى الحال لما نزل ليلاً من آيِ القرآن الكريم، وبان بأنَّ من أعظم ما ننوِّه به عنه هو استثمار الهدى الربَّانيِّ بتتبُّع مواقع الآيات من فؤاد النبيِّ ﷺ ، وردِّ بعض الآيات على بعضٍ لتحقُّق مقاصد نظم الخطاب ومناسبات النزول، وفي ذلك فوائد سلوكية بليغةٌ وأحكام اعتقادية وإيمانيةٌ، وآثارٌ هدائيةٌ خاصةً ما تأوَّله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمله وسمته وسنَّته، وهو ما يدلُّ على أهمية الاقتداء ولزوم السنة. وإنَّ هذا المبحث سِيقَ لغرض تلخيص مهمات المسائل التي يمكن تفعيلها عملياً من خلال العناصر المنهجية الآتية في مطالبها من الدراسة .

المطلب الأوَّل: التأويل العمليُّ للآيات

الفرع (١) آيات أواخر سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١] .

من مظانِّ استفادة المسلم من الآيةِ، التنزيل الواقعيُّ للآية نفسها بتتبُّع أوقات الاستجابة الربانية وتجليات الرحمة والهداية بما يتأوَّله سلوكه من قيام الليل وقت نزول الرَّبِّ سبحانه وتفضيل الإنابة إليه وهداه على ما يجده من شدَّة وطأة ليلته، وأحْسَنُ منِ امتثل لهذا الصَّنيع من الجمع بين الآية وتطبياتها سيِّدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لـــمَّا قرأ الآية وهو قائم يصلّي، كذا في المسند من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه (: أنه بات عند نبي الله – صلى الله عليه وسلم – ذاتَ ليلة، فقام نبي الله – صلى الله عليه وسلم – من الليل، فخرج فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية التي في آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ . حتى بلغ ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . ثم رجعَ إلىَ البيت فتسوّك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اَضطجع، ثم رجع أيضاً فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية، ثم رجع فتسوّك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم

اضطجع، ثم رجع أيضاً فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية، ثم رجع فتسوّك وتوضأ، ثم قام فصلى[١] ؛ بل ترجمَ ابنُ حبّانٍ لهذا في صحيحه بقوله ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَرْءَ عَلَيْهِ إِذَا تَخَلَّى لُزُومُ الْبُكَاءِ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْحَوْبَاتِ وَإِنْ كَانَ بَائِنًا عَنْهَا مُجِدًّا فِي إِتْيَانِ ضِدِّهَا [٢] ، وهو معنىً وظيفيٌّ وبُعْدٌ تربويٌ للمسلم إذ يناجي ربَّه بمضمَّن هذه الآية ومأدبتها الإيمانية . وهو معنى التأويل العمليِّ للآية كما قصدنا من عنون المطلب أعلاه إذ رُمْنا الاهتداء إلى ما أنار به الله سبحانه من مقتضيات الآية حال الاستفادة من الَّيل وقيامه وتدبُّر كلامه ؛ وإنه ممَّا ينبغي الإشارةُ إليه والعضِّ على التَّنويه به قوله صلى الله عليه وسلم " وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ ! " عن مقتضى أثر الآية في نفس المؤمن ، وسريان المؤاخذة بها ، حملاً للنفس على الاتعاظ بواعظ القـــرآن ، ومصداقه قـــول الله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق-٤٥] ؛ وفي المقابل وهو الآكد، دعوة للنفس إلى التفكُّر في أثر الخلق واملكوت في توحيد المؤمن وتعزيز اعتقاده وربط قلبه بثوابت الأدلة على فطرية الإسلام التي خلق الله تعالى الخلق عليها لا تبديل لخلق الله ، ولذا وَرَدَ عن الأُصُولِيِّين استنباط أدب الفِكـــر في الملكوت قال الطوفيُّ في مُضمَّن كلامه عن تأويل الآيتين السابقتين " .. فيهما إشارة إلى كيفية النظر في شواهد الوجود الدالة على الصانع الموجود، كما في نظيرتها في البقرة غير أن هذه أخص من تلك وأحق بهذا المعنى، إذ فيها التصريح بالتفكر في خلقهما ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها وما بعدها حين يقوم من منامه ، وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ويل لمن قرأها ثم لم يتدبرها [٣] » [٤]))

---

(١) المسند، الشيباني: أحمد بن حنبل: تحقيق أحمد شاكر: (١٣١/٣)

(٢) المسند الصحيح، ابن حبان، أبو حاتم محمد (٣٨٦/٢)

(٣) الرواية بهذا اللَّفظ غير محفوظة، إنما المحفوظ " ولم يتفكَّر فيها" ينظر تخريج الحديث في المبحث الأوَّل.

(٤) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، الطوفي، نجم الدين، سليمان بن عبد القوي: محمد حسن محمد حسن إسماعيل دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ . (ص: ١٥١)

الفرع (٢) آياتُ المعوِّذتين " قل أعوذ بربِّ الفلق وقل أعوذ بربِّ النَّاسِ"-

لا يستغني مؤمنٌ عن قراءتهما واتخاذهما ورداً لَّه في يومه وليلته، بل وأعقاب الصلوات الخمس كما وردت به السُّنّةُ، وإنَّه لمن المهمِّ استفادة المصلِّي قراءة المعوِّذتين في الصلاة، كما فعل النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم في القراءة بهما لصلاة الصبح مع أنّ الأصل في صلاة الصبح الطُّول والقراءة بالطِّوال؛ فعُدُولُ النَّبيِّ عنها إلى قصار السُّوَرِ ممثَّلةً في المعوِّذتين تنزيلٌ واقعيٌّ لاِتِّخاذهما حصناً لقلب المؤمن وفؤاده وجسده، فعن عقبة بن عامرٍ – رضي الله عنه – قال : كنت أقود لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ناقته في السفر فقال لي :« يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا ». فعلَّمَنِي (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) فلم يرنى سررت بهما جدا ، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس ، فلما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الصلاة التفت إلى فقال لي :« يا عقبة كيف رأيت» [(١)].

المطلب الثاني: التزام المسلم بأصول الإيمان جملةً وتفصيلاً

إنَّ أشدَّ ما يلزم المسلم في حياته هو حفظ أصل دينه وقبوله كلِّه وعدم خُرمه بأحد نواقضه والإقبال عليه بالكلية وألاَّ يستهين بمفردات الإيمان، وقد ذمَّ الله الَّذين يؤمنون ببعض الإيمان ويتركون شيئاً منه قال تعالى:{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ}[البقرة: ٨٥]، ولقد أفاد الاستفهام الإنكاري في الآية التَّوبيخ[(٢)]، على هذا الصنيع الدَّالِّ على عدم الجزم بالإيمان كاملاً لنقضه ببعض موانعه، وليس سبيلُ المؤمن بذاك، قال الزحيلي" وإن تجزئة أحكام الله، بأخذ بعضها وقبوله، ورفض بعضها والإعراض عنه، كفر بجميع الأحكام الإلهية. قال العلماء: كان الله تعالى قد أخذ على

(١) السنن الكبرى ، البيهقي (٢/ ٣٩٤) .

(٢) حدائق الروح والريحان ، الأُرمي (١٠٨/٢) .

اليهود أربعة عهود: ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وفداء أساراهم، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفـــداء ، فوبخهم الله على ذلك توبيخا يتلى ، فقال : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وهو التوراة وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (١) [البقرة-٨٥] ، وعليه فإنَّ من تمام ما يستفادُ من مقتضى حال النزول لسورة الأنعام الأخذُ بأصل الإيمان جميعاً على الفور لا على التَّراخي، وأنَّ أهمَّ ما يجب مراعاته في الدِّين أصلُهُ، ولا يقدَّم عليه من الفروع إلا ما يخدم التَّوحيد ولوازمه من أفعال العبادات، وليس من فقه الدِّين الاستمساكُ بفروعه أو الغرائب وإهمالُ أصل الدِّين.

ومِمَّا يميِّزُ سورة الأنعام اشتمالها على أصول الإيمان الستَّة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام، وهذا ما يواطئ فائدةَ نزول السورة جملةً واحدة تحوي الكلام عن أصل الإيمان وأركانه ، والآيات في هذا الموضوع من السورة نفسها وردت على نسقٍ من الانتظام يُفصح عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأصول الستة وعدم التقصير في واحد منها لما فيه من لزوم الاعتقاد بها جميعاً لا ببعضها، وأمثلة الآيات الآتية من السورة تبيِّن هذا المقصد الأعظم من تحقيق الأصول، وإليك أخي القارئ أمثلة الآيات ومقاصدها موزَّعةً على الأصول الستة :

المثال الأوَّل عن الركن الأول: الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، وأسمائه وصفاته: قولُ الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام-١-٣]، وهذا الأصل له مواضع عديدة في السورة نفسها، منها :

---

(١) التفسير المنير في الشريعة والمنهج والأحكام، الزحيلي، محمد وهبة: (١/ ٢١٧) . وقال الشيخ أبو بكر الجزائري " من هداية الآية الكريمة، الاكتفاء ببعض أمور الدين دون القيام ببعض لا يعتبر صاحبه مؤمناً ولا ناجياً" أيسر التفاسير الجزائري، أبو بكر جابر: (١/ ١٥٣) .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤].

المثال الثاني عن الركن الثاني: الإيمان باليوم الآخر، قول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨] ، ويصدقه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلَّم " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [1] .

المثال الثالث عن الركن الثالث: قول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [الأنعام :١٥٨]، وهذه كالتي قبلها تضمنَّت الإيمان بالملائكة إجمالاً .

المثال الرابع عن الركن الرابع: : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩]، وهذا المثال تضمَّن الإشارة إلى الإيمان بأحد الكتب السماوية وهو القرآن المجيد

المثال الخامس عن الركن الخامس : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ

---

(1) الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن اسماعيل (٥٨/٦) رقم (٤٦٣٥) .

مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام :٨٣ – ٩٠] .

وهذا المثال تضمَّن فوائد تربوية إيمانية في تحقيق ركنية هذا الأصل العظيم ، منها إقامة الحجة على الأمم ببعثة الرُّسل واستلزامُ اتِّباع هداهم – أي الأنبياء – في الدَّعوة إلى التوحيد والإقتداء بهم .

المثال السادس عن الركن السادس : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧ – ١٤٩] .

وهذا المثال لبيان الاعتقاد بالقدر وأنَّه حقٌّ وعدلٌ ، وهومن مهمَّات الدِّين وأولى ما يلزم المؤمنَ الجزمُ بِهِ وعدمُ الرِّيبةِ فيه مع تمامِ حُسنِ الظنِّ بالله تعالى.

والمقصودُ من تنوُّع الأمثلة واختصارها هو استلحاقُ اشْتِمالِ سُورةِ الأنعام على أصول الإيمان، وقواعد التوحيد، ومواطأة الإجمال في نزولها لاشتمالها على أحقية أصل الدين وأركان الإيمان، وأنَّه يوجب الإيمانُ بأصل الدين اتِّباعَه بباقي الأركان جُملةً وتفصيلاً، ولا يجوز الإيمان بجزء منه دون الباقي، والله تعالى أعلم.

الخاتمـة

حاولنا في هذا البحث بيان الآيات التي نزلت ليلاً والاجتهاد في أن نُجلِّي الفوائد العلمية والتربوية من حال نزولها ومقتضياته ، وتوصّلنا من خلال عرض الخطة، والدِّراسةِ التَّحليلية لما استقرأناه من التتبُّع، إلى النتائجَ الآتيةَ:

١ – نزول القرآن ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السَّلف من الصحابة والتابعين، من غير تأويل أو تحريف أو تعطيل.

٢ – قلَّة عدد السُّور والآيات التي نزلت ليلاً ، فأمَّا ما نزل جملةً واحدة منها فسورة الأنعام وسورة المرسلات والمعوِّذتان، والباقي نزل مفرَّقا .

٣ – اختلف العلماء في بعض ما نزل ليلاً أو نُسب إلى المكيّ والمدنيّ، ورجَّحنا تصحيح أكثر الأحاديث التي ورد فيها النزول الليليُّ، إلاَّ آية سورة الزخرف فسندها ضعيف جدا.

٤ – سبب نزول آية سورة الزخرف رقم:(٤٥)، ضعيف جداً، والاختيار تأويل الآية بما رجَّحه الطبريُّ لما يعتضد به من شواهد السياق والمناسبة والنظم.

٥ – عدد الآثار التي اختلف في صحتها –في موضوع ما نزل ليلاً– واحدٌ، وهو مُتعلَّق سورة الأنعام وقد بيَّنا المسلك العلمي النقدي لتصحيحه.

من الفوائد المقاصدية لما نزل من القرآن ليلاً الآتي:

أ – تأويلُ التلاوة للآيات النَّازلة ليلاً هو العملُ بهديها نحو قيام الليل واستحباب الدعاء ليلاً لآية التفكُّر رقم (١٩١) من سورة آل عمران .

من مظاهر استثمار ما نزل ليلاً جملةً واحدةً ، الاسترشادُ بنوازل القرآن وهي السور التي وجَّهت القضايا الشائكة وضبطت أحكام الفتن.

ب – وجوب النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِي آيَاتِ اللهِ حَتَّى يَكُونَ الإيمان مُسْتَنِدًا إِلَى الْيَقِينِ لَا إِلَى التَّقْلِيدِ : ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ، الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي تَأَمُّلِ الدَّلَائِلِ.

ج – قبول الإيمان ووُجُوبُ الاعتقادِ بأصوله جملةً وتفصيلاً.

د – أنسب وقت التوبة في جوف الليل، بعد ليل طويل من البكاء والتضرع والتذلل إلى الله تعالى، ويكون الصدق عماد القلب، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(التوبة:١١٩).

هـ – وجوب البلاغ لشرع الله وعدم خشية أحد، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٨)، وإنّ أهم شيئ في البلاغ هو تذكير الناس بتوحيد ربهم وحسن عبادته حتى يبنى عليه ما بعده.

و – حسنُ التوكُّل على الله في دفع الأذى والشرور، بامتثال سنة النبي صلى الله عليه وسلم في التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا يُتَّقَى شَرُّهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الشِّرِّيرَةِ.

وأمَّا ما نوصي به من اقتراحٍ : فيتلخَّص في إفراد ما يشبه هذا النوع من الدراسات القرآنية بتجديد البحث فيها وعرضها على منهج الدراسة الموضوعية نحو:

١ – تفسير المعوِّذتين – دراسة موضوعية – .

٢ – تجديد البحث في نوازل القرآن – دراسة تاريخية ونظرية – .

٣ – " الأثار الـــواردة في آيات " السَّبع الطِّوال " واختـــلاف نسبتها إلى المكي والمدني « جمع ودراسة » .

٤ – الأحداث الليلية في القرآن الكريم دراسة تفسيرية مقاصدية .

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- أسرار ترتيب القرآن/ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
- البرهان في علوم القرآن/أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي الدار التونسية للنشر - تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٠ ١٩م.
- تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت - الأولى ١٤١٩هـ .
- تفسير المراغي/أحمد بن مصطفى المراغي ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الأولى، ١٣٦٥هـ.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق ، الثانية ، ١٤١٨هـ.

- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، عمر بن علي. دار النوادر- سوريا - ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٨م.

- التوقيف على مهمات التعاريف / زين الدين محمد الحدادي ثم المناوي القاهري ١٠٣١هـ ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ، تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

- جامع البيان في تأويل القرآن /محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر - الرسالة الأولى١٤٢٠هـ.

- الجامع في الجرح والتعديل، مجموعة من الباحثين، عالم الكتب-بيروت-١٩٩٢م.

- الجامع الكبير - سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه /محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، طبعة دار الكتب المصرية - الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/ الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى

(المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ، في الحاشية، ضبط وتدقيق وتوثيق/ د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية،

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، تحيق /علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤١٥ هـ .

- الخلاصة في تدبر القرآن الكريم ، د/ خالد بن عثمان السبت، دار الحضارة للنشر والتوزيع،ط١،١٤٣٧ هـ– ٢٠١٦ م .

- سنن ابن ماجه/أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

- سنن أبي داود/أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

- السنن الكبرى/أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق :حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / أبو نصر الجوهري الفارابي ٣٩٣هـ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ،الرابعة ١٤٠٧هـ .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة، بيروت – ١٣٧٩ هـ .

- كتاب التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق/

ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

– كتاب العين/أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ١٧٠هـ،تحقيق/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال .

– لسان العرب . محمد ابن منظور الأنصاري ٧١١ هـ ، دار صادر – بيروت ، الثالثة ١٤١٤ هـ

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ .

– مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دط، دتا .

– محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد القاسمي١٣٣٢هـ، تحقيق/محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت.

– مسند الإمام أحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤م.

– معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي٣٩٥هـ،تحقيق/عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر،١٣٩٩هـ

– مفاتيح الغيب / محمد بن عمر الرازي: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الثالثة١٤٢٠هـ.

- المفردات في غريب القرآن/أبو القاسم الحسين الأصفهانى ـــ، تحقيق/صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الأولى – ١٤١٢ هـــ .

- مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم/د. سميرة عدلي محمد رزق. منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العلمية .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـــ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

- وقت نزول القرآن وأثره في فهم المعنى "دراسة تطبيقية على بعض ما نزل ليلاً"، د طه عبد الرحمن طه، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. العدد٢١، ١٤٣٢– ٢٠١٠(البحث متزّل على النت)

الفهرس العام

المقدمة ٣٩
التمهيد ٤٣
تحرير مفردات البحث: « التدبر، نزل، ليلاً » ٤٣
المبحث الأول : جمع الآيات التي نزلت ليلاً ٥١
المبحث الثاني : مقتضى الحال لما نزل ليلاً. ٥٧
المطلب الأوَّل: القول فيما نزل ليلاً من ربع القرآن الأول : ٥٨
المطلب الثاني : دراسةُ ما نزل ليلاً من الربع الثاني إلى آخر القرآن: ٦٣
المبحث الثالث : الأثرُ المقاصدي في نزول القرآن اللَّيليِّ ٧٥
المطلب الأوَّل: التأويل العمليُّ للآيات ٧٥
المطلب الثاني: التزام المسلم بأصول الإيمان جملةً وتفصيلاً ٧٧
الخاتمـــة ٨١
فهرس المصادر والمراجع ٨٣
الفهرس العام ٨٨